

## خريدة لبنان

(الاب هنري لانسنيّ النوسويّ)

(تابع لما قبل)

١٠

في ذات صباح من أيام تموز - وقد مضى نحو الشهر على ما سبق ذكره - كانت  
العربة المسمّية المروقة بالدليجنس تصمد كالمادة فوق ربي لبنان من بيروت الى دمشق .  
فوقفت عند خان الشيخ محمود ريثما خرج منها شابان في مقبل العسر عليهما اشارات الحظ  
وملاح السرور وفي بين كل منهما عصاً ضخمة اندها ليستعينا بها على السير في الجبل  
فوقفا برهة يسرحان الطرف في تلك الربيع التي كستها الغزاة عند بزوغها حلة الانوار  
ونظم لها الندى من اللآلئ عتوداً ولبثا يفتان من صدرهما هواء المدينة ويستشقان بتشمّم  
نسيم الجبال البليل فتتمش منها الأرواح والأبدان  
ثمّ ثنى كل طرفي بظلونيه فوق حذاء متين الضع مهبأً للشي في الوعر وسارا بهمة  
في تلك الطريق التي تراكم فيها التراب . وهما يتداولان الحديث بجحاة ولا يشك من  
يسمعهما انها من ارباب القلم ورجال الادب  
وما زالا يمشيان بنشاط ينعمهما نسيم الصباح ويدفعها الحمس واذا باصفر الشايبين  
توقف عن السير وصاح برفيقه : ألا أنصت يا هذا  
وكان طرق مسامعه نغمات الزمّارات والدفوف صادرة من الوادي يتجلّأها حيناً بعد  
حين طلقات البنادق  
فقال له رفيقه : زهل من عجب فهولاء الترويون اطاعوا اليوم داعية الافراح . ويحى  
لهم ان يتناسوا حجة اكدار الحياة . . .  
فاجاب قائلاً : لا انكر ذلك . على اني اود لو اعرّف الداعي الى مثل هذه المظاهرات  
مذ لآح الصباح . فاذني راجعت البارحة قبل مغادرتنا بيروت تقويم السنة فلم اجد لعيدر  
ذكرآ في هذا الاسبوع وقد مضى نحو العشرة أيام على عيد مار الياس . فيا ترى ماذا  
جرى . وهنا ادّى السير بالشايبين الى خان ابي القريّة الذي عرفناه قبلاً ولم يكونا مجهلان .  
فقال اكبرهما :

لقد مشينا نحو الساعتين فبانع مني العطش مبلغاً. هياً بنا زوي الغليل في هذا الدكان  
 وتأخذ لنا من الراحة نصيباً وننتقم الفرصة لسأل الدكاني عن الحلب اليقين  
 فما ولجا الدكان الأقمهها ضحكاً فلما شاهدنا صاحبنا الدكاني يحظر في ملابس العيد  
 فيسحب على الارض ذيل سرورال لعب الهواء بانثائه فنحنه كالقارع. وكان لابساً حدرية  
 من المحمل الاحمر مزركشة بالحريير وفوقها زئار عريض كثير الالوان  
 فقابل ضيفيه باقسام الفرز. ولم يبادر الى خدمتهما بل بقي يتعثر باذياله. وقد لاحت  
 عليه علام السامة والكدر فصاح: ملكة. ملكة. عيني. فاني اسمع صوت الدف. يا لله.  
 ان العيد سيفوتني بسبب هذه المرأة  
 فبادرت ملكة تحمل سلة من الزهر. وما كان اجملها في خمارها الازرق البسيط  
 وثوبها الرودي اللسع ونطاقها الحرير الاسود لا يشين صورتها قبة كبيرة ولا يخني ساعدتها  
 أردان عظيمة منتخفة كالتي تألفها لنا. اليوم  
 فلم يكن كلمح البصر الا قدمت ملكة للشائين شراباً مبرداً ثم مضت لتتظر آخر  
 نظرة في ملبوسها

فبيل صبر الدكاني وصرخ: ملكة. وحياء أبي اذا لم تحضري تركتك وسرت وحدي  
 وبيتنا الشبان يرويان الغليل ويتبمان مما يسمعان ويريان اذ لاحت منها إلتفاتة  
 فابصرا على الجدار صورة نبرلين عليها من الالوان اصناف وهي اغرب الهيئات  
 فصاح احدهما بالدكاني سائلاً: ألا برئك يا هذا ما حدالك الى تلبيق الصورة في  
 الجدار على تلك الحالة. أوخطر لك ان تُبقها ابد الدهر  
 فاجاب الدكاني وهو يتبسم ابتسامة مبنوية: نعم نعم. فليضحك من شاء فهي  
 مبدأ ثروتي وبسببها صرت اربح سنوياً ثلاثين ليرة

١١

وعندئذ سمع طلقات بندق كثيرة دفعة واحدة ارشكت ان قُطير الكأس من ايدي  
 الشائين فصاح الدكاني مجتئ: يا لله قد دارت افراح العرس. ويل هذه المرأة لا شك  
 انها تضيع علي الوقت وتحرمني من العرس  
 فسأله أكبر الشائين. برئك يا عم الا أخبرتنا باي عيد تحتفلون اليوم وما الداعي لمثل  
 هذه الحركة في ضيعتكم

فاجاب الدكاني: داعٍ عظيم مهم فوق العادة . ولا شك ان جرائد بيروت تذكره  
 - هل زارك المطران ؟ فاني اسع برس الكنيسة يقرع منذ ساعة  
 - ما حزرت  
 - أقدم عليكم القنصل ؟  
 - بل افضل من القنصل  
 - فاذن متصرف لبنان . على انه منذ اسبوع يتجول في شمالي لبنان يجبهات الازر  
 ولا اخاله الا باقيا هناك

- انت بعيد  
 - فام بيتي الا والي سورية . لكن بلنا انه اليوم في نواحي طرابلس . الا بجيتي يا عم  
 أفتنا عن الحقيقه وخلصنا  
 - الحكاية من اغرب ما يكون . ما سمع احد بثامها . فار كنتم تعرفونها انتم الذين  
 توأفون الكتب لأغثكم عن اختلاق التصص . وهذه الصورة لها علاقة شديدة مع قصة  
 ائمة الضريبة

قال اصغر الشابين منذهلاً: ائمة الضريبة ؟  
 - أئيم بهذه القصة لمخناً لرواية ردة المغرب  
 فصاح رفيقه باسمًا: على رسلك ايها الشاعر ولا تستل بالقصة وحدك . فاللل يقول:  
 كونوا اخوة واقسموا قسمة الحق  
 - لا نتخاصن على القصة قبل ان نسمعها . قال ذلك والتفت الى الدكاني وتوسل  
 اليه قائلاً: مجياني عنك يا عم تروي لنا هذه البادرة ونحن نمدك بان نقدم لك نسخة  
 منها مطبوعة

فصاح الدكاني : ذلك مستحيل في هذه الساعة . فاني مستعجل . . . وها امراتي  
 وصلت والحمد لله . تقالا معنا الى الضيعة وانا اخبركما على الطريق بكل ما جرى واذكر  
 لكما هذه الحكاية

وكانت المرأة قد دخلت مخظر في ثوب العيد . فاندفع الدكاني مجري وقد جذب مئة  
 الشابين واخذ يردي لها مع التفاصيل قصة حنا الطويل وائمة الضريبة وهما ييرانه اذنا  
 صاغية وقلبا واعيا . والمرأة تتبهم ولا تغفل ذكر نبذة او ابداء ملاحظة في اثناء الحديث

« فاعلموا ان حناً غنطوس بعد موت والديه لم يكن له ملجأ فانتقل الى بيروت طلباً للرزق ولما ضاقت عليه المذاهب دخل في مركب انكليزية بصفة رقاد وهكذا مر في اسفاره بكل موانئ البحر المتوسط وبلاد الانكليز . فبقي ذات مساء كانت هذه المركب مارة بمضيق جبل طارق فاصطدمت بمركب اخرى فانقلبت ولم تلبث ان ابتمتها الحجج قبل ان تتمكن من الوصول اليها المراكب التي بادرت الى نجاتها . ولم ينجح الا بمض التجارة

« وبعد أيام قلائل انتشر الخبر في كل الاصقاع وطار الى جبال لبنان وعلم اهل ضيقتنا بالصاب واعتقدوا جميعهم الا انيسة بمرت حناً الطويل غرقاً . وفي الواقع انه لم يت بل كان في عداد من سلم من التجارة . وعاد الى اسفاره فقادته الى رأس الرجاء الصالح . وكنت لا تسمع في تلك الايام الا من يحدث باخبار الترانسفال ومناجم الذهب والالاس فيه . فخطر لصاحبنا ان يقصد تلك الوجهة طمعاً في المكسب

ففي بادى الامر قاسى من الاكدار والاهوال ما لا يوصف لكن الايام كانت قد حنكة وشددت عزيمته وزادته خبرة في الهدادة وعلم الحيسل التي يسيسها القرنج ميكانيك كما سمعتها مراراً من السياح الذين يزورون هذه البلاد . فاشتغل عند قيسة البورس وزاول مهنة تصليح الاسلحة وادوات الفلاحة . حتى ادت به الاحوال الى مدينة اخبرنا عنها وقد فات اسمها عن بالي فرض خدماته على شركة هناك تشتغل باستخراج الذهب والالاس وهي من اعظم الشركات قبلته . والعبيد اهل تلك البلاد لا حق لهم على ما يظهر بامتلاك الاراضي ولا يسوغ لهم الا الاشتغال في المناجم بصفة فعة ولا يقبضون اجرتهم ذهباً . وكل وكلاء الاشغال يجب ان يكونوا من البيض ولاسيا الناظرين في المناجم لان العبيد الفعلة يسعون جهدهم في اخفاء شذرات الذهب والالاس

ولما وصل حناً الى تلك البلاد كان عدد البيض دون القليل فلذا قبلته الشركة مع الشكر ودفعت له راتباً مهماً وعلاوة على ذلك كانت تعطيه خنس الالاس المهرب الذي يكتشف عليه . ولا كان قنوعاً في معيشته صادقاً في خدمته مجتهداً في اعماله لم يلبث ان جمع كيفة من المال وافرة وقد كان حاصلها على ثقة واعتبار محذومه وحب العبيد المشتغلين تحت امرته . وليس من طبعهم حب البيض

ولما ثار العبيد كان هو من الترد القليل الذين سلموا وبقي بيته سالماً محفوظاً على

حين ان منازل مديري الاشغال والمستخدمين أحرقتا التازرون. ولا هدأت الخواطر وكان عنده رأس مال مهم عزم على الشغل لحسابه فاشترى قرب المدينة اراضي مهجورة وبهد انكذ ومعاونة الاتعاب اسعده الحظ بالاكتشاف على معادن ذهبية

ولم تمض سنوات قليلة حتى اصبح من ارباب الملايين وكانت نفسه لا تزال تحن الى بلاده فترك اشغاله ورجع ما عنده من المال وقفل راجعاً الى سورية. وقد مضى عليه شهر كامل في ضيقتنا هذه سقط رأسه وفيها جمعت الأيام بخطيبته انيسة الضريرة التي سبغت على الفراق اكثر من عشرين سنة. اما باقي القصة فستلهاه اليوم...

١٢

كان الدكاني يسرد على السائين تلك الاخبار مع التفاصيل وهو يلهث تباً وما أتى على آخرها حتى أعياه الجهد. لكن رفيقيه لم ينمنا بما ذكر بل طلحت ابصارهما الى غير ذلك من مملعات الحديث. فسأله احدهما قائلاً: على انك يا عم نسيت ان تخبرنا عن العلاقة بين قصتك وصورة نبوليون المتعاقبة على جدار ذلكك

فاجاب قائلاً: الحق معك. فاعلمنا ان حناً الطويل دفع لي ثمنها كمية من الدنانير ولا يزال كما اخبرتكما يدفع لي ثلاثين ليرة في السنة على شرط اني ابقىها كما كانت فيما مضى قبل سفره وكما رأيتهما في محلها. فانه تقر عينه برأما وتطيب نفسه بذكر الأيام السالفة ولا يخطرون ببالكما انه اكتني بما احسن الي بل عم فضله الجميع. وليس حناً الطويل اول مسافر عاد الى بلاده. فان كثيرين بعد ان جمعوا المال رجعوا الى ضيقتهم ولكن لم يتسوا بغير نفسهم فاشتروا الاراضي وبنوا البيوت الفاخرة اما حناً فانه فعل ما لا ننساه على طول الزمان. لا شك انكما رأيتما اساس بناء عند مدخل الضيعة فهذا مستثنى ينيه للرضى ومأوى للشيخ العجزة. وهو عازم على تشييد مدرسة للصبيان واخرى للبنات

رمع ما هو عليه من النفي الوافر لا تراه يتعجرف او يزدرى باحد بل يتكلم مع الصغير والتقير بكل لطف ويسلم على الجميع بكل رقة. وخلاقاً لكل الذين يرجعون من البلاد لم يأخذ عن الاربيين الا العوائد الحسنة وهو يقوم خير قيام بواجباته الدينية ويحضر الذبيحة الالهية كل احد وعيد ويصلي بمجاعة كأنه لم يخرج من ضيقتنا وبعد ان اهتم بكل الناس افتكر في نفسه فاشترى بيت مصيف كان بناء احد

تجار بيروت وسينقل اليه مع ائمة وعائلة الخائف سر كيس التي تبني كل ابناها . ولم يقفل  
عن الخاف فارس بل اعطاه . ألا كثيراً

واليرم . وقد له الاكليل على ائمة . وهذا عيد عظيم لاهل الضيعة . والبرهان على ذلك  
انهم سيذبحون عشرة جراف وفي هذا الصباح سيحضر حياً قداساً احتفالاً يشكر الله  
على نعمه الجزية نحوه

وفي اثناء هذا الكلام وصل الشبان الى القرية ولم يتبه به احد حديث الدكافي غير  
انها شغلا عن سماع الحتام بما وقعت عليه أعينها

فكانت القرية قد برزت باجلى مظاهر الزينة وكانت ابواب المنازل والتوافذ كلها  
مزدانة بالزهر وبالحضرة وعلى البعض منها أشعار رقيقة تتضمن اللف التواخيخ . وكانت  
تتحقق في كل جهة الاعلام المختلفة الالوان

وعلى باب حناً الطويل قد كتب بالزهر اسم المرسين على اجمل منوال  
اماً عن ازدحام الناس فحدث ولا حرج . فكانت جماهير القرويين قد بادرت من  
جميع الضياع والمزارع المجاورة ليحضروا مثل هذا العيد النادر المثل بينهم ( ستاتي البتة )

## شُتَّى

معنى اسم البرمكي

كثيراً ما بحثت عن معنى هذا الاسم في اللغة العربية وفي كتب المؤرخين من العرب  
فلم اعثر على ما اشغني به الغلة الى ان وقع بيدي كتاب فارسي ذكر فيه معنى هذا الاسم  
فقال ما محصلة : ان نسب جعفر الذي هو ابر خالده البرمكي يتصل بملك فارس وكان في  
اوائل أمره مجوسياً يعبد النار في نوبهار بلخ . فلما اراد التدئين بدين الاسلام اخذ معه خدمته  
وحشمه وحامته ( عائلته ) وتوجه بهم الى دمشق وكانت يومئذ دار ملك بني أمية . وذكر  
في جامع التواريخ ان وصول جعفر الى دمشق كان في عهد عبد الملك بن مروان وقال جماعة  
من المؤرخين ان وصوله اليها كان في ايام سليمان بن عبد الملك . ولما رأينا ان الرواية الثانية  
للحقة اقرب . لم نتمد على القول الاول . ولما قدم جعفر امام سليمان بن عبد الملك تغير لون  
الخليفة وامر باخراجه من المجلس فتعجب الحاضرون من صدور ذلك الحكم فقال لهم